

موقف فريق من الفلسطينيين

من بريطانيا خلال الحرب

العالمية الثانية

إعداد وتعليق: سميح حمودة

- يتناول هذا الملحق الوثائقي موقف فئة من النخبة الفلسطينية من طرفي الصراع الدولي خلال الحرب العالمية الثانية، وهي فئة ناصرت الحلفاء ووقفت ضد المحور، ويأتي هذا الملحق منسجماً مع دراستين تضمنهما العدد، الأولى دراسة أندريه ستانسون حول تأسيس الإذاعة الفلسطينية من قبل الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٦ ودورها الإعلامي والسياسي، والثانية دراسة سميح حمودة حول التحول في موقف ثلاثة من زعماء حزب الاستقلال من الحكومة البريطانية خلال الحرب، استناداً ليوميات طاهر الفتياي. ويضم الملحق نصوصاً أربع، ثلاثة تقارير ومقال واحد، كانت قد نشرت جميعها في مجلة هنا القدس التي أصدر مكتب المطبوعات البريطاني في فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية منها سبعين عدداً (من كانون الثاني ١٩٤٠ إلى كانون الأول ١٩٤٢)، وتعكس هذه النصوص جانباً من الانقسام الذي شهدته النخبة الفلسطينية خلال الحرب الثانية، بين موقف التأييد والمساندة لبريطانيا وحلفائها، الذي وقفته هذه الفئة، والموقف النقيض الذي اتخذه الحاج أمين الحسيني وجماعته، والمتمثل بتأييد ألمانيا وإيطاليا والتحالف معهما. ومن المؤكد أن هذا الملحق سيضيء جوانب عديدة متعلقة بوضع الحركة الوطنية الفلسطينية، ونخبها القيادية خلال الحرب. كما تبين هذه النصوص مضامين الخطاب الذي تبناه الفريق المؤازر لبريطانيا، والمبررات التي صاغها لهذه المؤازرة، ولعل أهمها:
- الوقوف مع الحلفاء هو في ذاته وقوف ضد العدوان ومقاومة له، وانتصار الحلفاء هو انتصار لفكرة الحرية على الطغيان، والنظام على الفوضى، والمدنية على البربرية. كما أن الانتصار على كل من النازية والفاشية هو لمصلحة هذا العالم، فالأخيرتان خرجتا على العالم بكلام مبهرج، ثم جاءت أعمالهما فكشفت للناس عن حقيقة جرائمهما وسوء المصير الذي كانتا تبيتانه للعالم.

- الموقف العربي المؤازر عسكرياً للحلفاء ينسجم ويتوافق مع الماضي العربي المجيد، حيث قاتل العرب للمبادئ السامية. كما يأتي مماثلاً لوقوفهم إلى جانب بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى تحت قيادة الشريف حسين وأبنائه.
- الادعاء بأن انتصار الإنكليز ناجم عن قوة أخلاقهم، وسمو المبادئ التي يحاربون في سبيلها، وهم أمة لن تقهر.
- الاعتقاد بأن انتصار عرب فلسطين وتحقيق مطالبهم في الاستقلال منوط بمقدار المساعدة التي يقدمونها لبريطانيا في الحرب.
- الاعتقاد بأن انتصار بريطانيا انتصار للعرب، وتأييد لقضيتهم، وأن فيه تثبيت لدعائم العدل والحرية في العالم.
- يوجد بين الإنكليز والعرب طباع مشتركة، ومصالح متبادلة، تقضي عليهم بالتعاون، والحرص على حسن الصلات بينهم.
- مطالب عرب فلسطين من الإنكليز، والتبرجوج الحصول عليها، لا تؤثر على حسن الصلات بين الفريقين، ولا تقلل من قيمة صداقتهم. وإن خلاف العرب مع بريطانيا في فلسطين «خلاف عائلي»، يحل بالتفاهم بين الطرفين.
- نالت مصر والعراق وشرقي الأردن استقلالها بفضل تعاونها مع الإنكليز، في حين لمتنل أي من طرابلس، أو ليبيا، أو تونس، أو الجزائر، أو مراكش، أو سوريا شيئاً من استقلالها.

النصُّ الأول عبارة عن تقرير حول حفلة تكريم، وصفتها الكبرى، أقيمت بالقدس بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٤٠ للأديبين المصريين إبراهيم عبد القادر المازني، وعباس محمود العقاد، واللذين استضافهما عجاج نويهض، مدير قسم البرامج العربية في الإذاعة الفلسطينية، لإلقاء أحاديث عبر الأثير مؤيدة لبريطانيا ومناوئة لألمانيا

النازية. ويلاحظ هنا أن قسماً من الذين حضروا الحفلكانوا مناعضاء وأنصار حزب الدفاع العربي الفلسطيني، وعلى رأسهم راغب وفخري النشاشيبي. أما النص الثاني فهو تقريراً كتبه الصحفي المصري يوسف حنا حول لقاءاته مع عدد من الزعماء الفلسطينيين والشرق أردنيين استطلع خلاله آراءهم حول وضع بريطانيا خلال الحرب ورأيهم في احتلال بريطانيا لأجزاء من ليبيا وطردها للليبانيين منها. وقد نشر التقرير بالمجلة بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٤١، وكان حناً يعمل أيضاً محرراً لصحيفة فلسطين، وقد ساندت الصحيفة بريطانيا خلال الحرب، وتلقت مبالغ شهرية من مكتب المطبوعات الحكومي لقاء نشر تقارير وافتتاحيات تناهض دول المحور وتدعم الدعاية البريطانية والمجهود الحربي البريطاني.

يتضمن النص الثالث مقالة كتبتها السيدة متيل مغنم، زوجة المحامي مغنم مغنم، سكرتير حزب الدفاع، حول موقف المرأة العربية من الحرب، ونشر بالمجلة بتاريخ ٩ شباط ١٩٤١. وتتناول السيدة مغنم في المقال شعور المرأة الراض فطرياً للحرب وسفك الدماء، ولكنها في ظل وقوع فلسطين ضحية للغارات الألمانية ترى أن على المرأة العربية واجبات عديدة للحفاظ على أسرتها وشعبها، ومنها القيام بواجب التمريض، ومد يد المعونة للمنكوبين والعمل على تخفيف وطأة المصائب من المعوزين، وإدارة اقتصاد البيت بحكمة، كما أن عليها واجب الترفيه عن الفلسطينيين الذين شأوا أن ينتظموا في سلك الجندية. أما النص الرابع والأخير فهو عبارة عن تقرير حول عرض أقامته حكومة فلسطين البريطانية في مدينة نابلس للمتطوعين العرب في الجيش البريطاني بتاريخ ٦ أيار ١٩٤١، وحضره عدد من الزعماء الفلسطينيين الذين كان الكثير منهم من أعضاء وأنصار حزب الدفاع العربي الفلسطيني، ومن عرفوا بالمعارضين لزعامته الحاج أمين الحسيني، وكان على رأسهم سليمان طوقان، رئيس بلدية نابلس وقد أقيمت في العرض العسكري خطبة مؤيدة لبريطانيا العظمى.

النص الأول

حفلة تكريم كبرى للأستاذين إبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد

قدم فلسطين كل من الأستاذين الكبيرين إبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد، المعروفين في جميع الأقطار العربية بمؤلفاتهما القيمة النفسية، وأبحاثهما الرصينة وتفكيرهما العميق. وقد ألقى كل منهما حديثين من مصلحة الإذاعة الفلسطينية، وكان لأحاديثهما وقع عظيم جداً في نفوس الذين استمعوا إليها أو قرأوها، لأنها مبنية على تفكير سليم، وحنة دامغة ورأي صائب.

وكان الأدببان الكبيران موضع حفاوة أهل العلم والثقافة والوجاهة في هذه البلاد طيلة إقامتها. وقد رأى مكتب المطبوعات ومصلحة الإذاعة الفلسطينية أن يمهدا السبيل لتعريف عليّة القوم بهما، فأقاما لهما حفلة تكريم في فندق الملك داود بالقدس مساء ١٦ تشرين الأول الجاري حضرها نخبة مختارة من كبار الموظفين وأعيان البلاد، نذكر منهم حضرات أصحاب السعادة والفضيلة:

المستر مكفرسون السكرتير العام لحكومة فلسطين ونائبيه المستر لو والمستر كركبريد، وروحي بك عبد الهادي، ومصطفى بك الخالدي رئيس البلدية، وراغب بك النشاشيبي، وسليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس، ورشدي بك الشوا رئيس بلدية غزة، وقنصل إيران، والقائم بأعمال القنصلية المصرية، والمستر بادكوك كاتب المدينة، وفرنسيس بك خياط، وعلي بك حسنا، وعلي بك يونس الحسيني من القضاة، والشيخ كمال أفندي اسماعيل عضو المجلس الإسلامي الأعلى، ويعقوب أفندي فراج نائب رئيس بلدية القدس، والحاج عبد الرحيم أفندي النابلسي، والأستاذ عبد الله مخلص مدير الأوقاف العام، والشيخ عارف أفندي يونس الحسيني، والكولونيل تيغ، والمستر كنجزلي هيث، وشوقي بك سعد، ومدير بك أبو فاضل، والمستر ماسون مدير الزراعة، وأكرم بك الركابي، وعزمي بك النشاشيبي مدير مكتب المطبوعات في يافا، والمستر هوجين نائب مدير المعارف، وفخري بك النشاشيبي، وحنا أفندي عطا الله، والأستاذ أكارياوس بك، ورشدي أفندي المهدي، ودواد أفندي الفتاني، وعلي أفندي المستقيم، ودواد أفندي عمر الدجاني، وإسماعيل أفندي النشاشيبي، ومحمد يونس أفندي الحسيني. ومن الصحفيين الأساتذة الشيخ عبد الله القلقلي، وإبراهيم الشنطي، ويوسف حنا، والأستاذ زكي الأسطة، والأستاذ صليب الجوزي، والأستاذ عادل جبر، وصبحي بك الخضراء، والأستاذ منى حنوش، والأستاذ جبرائيل كتول، والأستاذ أحمد خليفة، ونجاتي بك النشاشيبي، وحكمت أفندي المصري، والدكتور يعقوب نزهة، والدكتور اسحق موسى الحسيني، وغيرهم وغيرهم من وجوه البلاد وأعيانها. وقد أخذت في الحفلة عدة صور لقسم من الحاضرين ننشر بعضها في هذا العدد.

وتكلم الأستاذ عجاج نويهض باسم مكتب المطبوعات ومصلحة الإذاعة، فرحب بالضيفين الكريمين، وأفاض في التنويه بفضلهما على الحركة الأدبية في الأقطار العربية، وتبسط في شرح ما اتصفا به من حجة قوية، ورأي ثاقب، وعقيدة جبارة، وأسلوب متين. فرد عليه الأستاذان المازني والعقاد شاكرين، وأشارا إلى الحرب الحاضرة التي تشغل أفكار الأقطار العربية خاصة، والعالم عامة، وقال أن مصلحة العرب تتفق ومصصلحة بريطانيا، وأن انتصار بريطانيا انتصار للعرب، وتأييد لقضيتهم وتثبيت لدعائم العدل والحرية في هذه الدنيا.

النَّصُّ الثَّانِي

العرب وبريطانيا

قابل الأستاذ يوسف حنَّاً محرر جريدة فلسطين نفراً كريماً من رجالات العرب في فلسطين وشرق الأردن، واستطلعهم رأيهم في الحالة العامة الحاضرة، على ضوء الانتصارات البريطانية في الصحراء الغربية وما كان لهذه الانتصارات من صدَى مستحب في نفوس العرب، ففضل كل منهم برأيه في هذا الصدء. وقد رأَت مجلة «هنا القدس» أن تنشر هذا على الرأي العام الكريم مع مزيد الشكر.

مصطفى بك الخالدي

بين الإنكليز والعرب طباع مشتركة، ومصالح متبادلة، تقضي عليهم بالتعاون، والحرص على حسن الصلات بينهم، وقد كان لهذا التعاون بين الفريقين في الحرب الماضية نتائج كثيرة أثبتت فوائده وضرورة دوامه بينهما. ففضل ما ذكرنا عاد على البريطان حسن السمعة في العالمين الإسلامي والعربي، وضمنوا السلام لهم في الشرق الأدنى، كما استطاع العرب أن ينالوا معونة بريطانيا في الحصول على استقلالهم في كثير من بلادهم. وإذا كان ما يزال لعرب فلسطين مطالب يرجون الحصول عليها من الإنكليز فهي لا تؤثر على حسن الصلات بين الفريقين، ولا تقلل من قيمة صداقتهم وما عاد على كل فريق منهما من فوائد بفضل تعاونهما.

ويسرُّ العرب أن ينتصر الإنكليز في ليبيا فينقذوا بذلك القطر المصري الشقيق من مصير سيء كان يهدده، ويزيحو عن عرب ليبيا وطرابلس حكماً قاسياً ظالماً أنزل بهم ضروبا من الهوان والضياع، كاد أن يقضي عليهم، وهذا عمل يقدره المسلمون والعرب أحسن تقدير لبريطانيا، ويرجون أن يكون فاتحة عهد جديد لتوثيق روابط الصداقة على أساس دائم من حسن التفاهم والتعاون، مما يعود على الفريقين بأجل الفوائد.

السيد رشيد الحاج إبراهيم

هو في كل مكان شغل المكان. معتكف في عزلته لا يقترح على الناس، ولكنَّ الناس هم الذين يتهافتون عليه، ويقترحون أبوابه، يدخلون عليه حيارى بمشاكلهم المستعصية على الحل، وينصرفون مغبوطين، راضين، محلولة معضلاتهم بفضل ذلك الذي أثار الاحتجاج إلا عن طالب حاجة، ونذر الصمت إلا عن نداء مستغيث. وما أنا بطالب حاجة، ولا مستغيث، ولكني مقتحم، متطفل في السياسة، وأين من يطمع بأن يخرج من أبي الهول بكلمة في وقت قد صام فيه عن السياسة، ونذر أن يترك السياسة إلى وقت السياسة.

لم يكن بدَّ إذن من أن أحتال، وأن أحسن كيف أتسلل إلى مداخل نفس أبي الهول، وإلى ذات صدره، دون أن أثير شبهته

في الغاية التي أقصد إليها، وما زلت أدور معه بالحديث، وأتحذر مرة وأتقدم أخرى، حتى خرجت منه بما أريد، وفوق ما أريد.

كان من رأيه أن انتصار الإنكليز في ليبيا حاسم، وأنه جاء فوق ما كان يتوقعه الناس، وهو على خبرة فعلية بموقع بردية، ويعتبر أن نجاح الإنكليز فيها دل على مهارة حربية لم تترك شكاً في تفوق الإنكليز في الفنون العسكرية، فضلاً على ما لهم من تفوق في القوى والموارد. ويرى أن سقوط طبرق مضمون، لأنها دون بردية مناعة، وبعد سقوطها ينفتح الطريق لأخذ بني غازي، ويصبح للإنكليز الخيار في التقدم للاستيلاء على باقي البلاد في الحال، أو ترك ذلك إلى وقت آخر يعيونه هم.

وانتصار الإنكليز في ليبيا هو إنقاذ لعرب تلك البلاد، وفاتحة عهد جديد لهم من الحرية المنشودة، والاستقلال الذي يصبو إليه كل عربي، واستعادة لمجد العروبة وحضارتها. وهو يرجو أن ينال العرب جميعاً من الإنكليز وخاصة عرب فلسطين جميع مطالبهم الوطنية، وأن يستقروا وإياهم على أساس أخير للتفاهم، ودوام الصداقة.

سليمان بك طوقان

أحب أن انقل أراءه بلا مقدمة، قال: لم يكن انتصار الإنكليز جيداً علي، أو كان حادثاً غير منتظر عندي، فلقد كنت مؤمناً به من قبل، وجهرت به في الأحاديث والخطب العامة متوقفاً حصوله، وليس ذلك بسبب ما أعرفه من قوة موارد البريطان، ولكن بسبب ما اعتقده من قوة أخلاقهم، وسمو المبادئ التي يحاربون في سبيلها. جاهرت بهذا في أول الحرب، وأذعته في أحلك الأوقات العصيبة التي اجتازها البريطان في الصيف الماضي. ومن يعرف الإنكليز معرفتي إياهم ويختبر نفسيته تمام الخبرة، يدرك أنهم أمة لن تقهر، وأين القوة الأرضية التي تقهر الخلق المتين؟

ولست أزعج أن الإنكليز فوق البشر، فهم ناس كباقي

الناس، لهم ما ينتقدون عليه، ولكن من الذي ينكر على الإنكليز متانة الخلق، وصلابة النفسية، وسمو التضحيات التي صدرت عنهم في ثباتهم بعد أن انهارت من حولهم حليفاتهم، الواحدة بعد الأخرى، ويقوا هم وحدهم ليدافعوا عن حريتهم. أن المرء الذي تجرد من قوة الإدراك، ومن حاسة التقدير حتى ليعجز عن الإعجاب بمثل هذه الصفات التي تبدى بها الانجليز في محنتهم الكبرى.

وأنا اعلم أنه يوجد بيننا وبين الإنكليز خلاف يحتاج بعد إلى حل أخير، ولكني أعلم كذلك أنه خلاف عائلي نحلّه بالتعاون، ويعجبني هنا ما أشار إليه فخامة جميل بك المدفعي في خطابه الأخير في البرلمان العراقي الذي ذكر فيه أن نبل الخلق الإنكليزي هو الذي دفعهم إلى تقدير نهضة العراق للمطالبة باستقلاله، فرضخوا للحق. وأين من الأمم الأوروبية الأخرى التي تحكم في الشرق من رضخت لهذا الحق رضوخ الإنكليز له، لقد نالت مصر والعراق وشرقي الأردن

استقلالها بفضل تعاونها مع الإنكليز، فهل نالت طرابلس، أو ليبيا، أو تونس، أو الجزائر، أو مراكش، أو سوريا شيئاً من هذا؟ وغاية ما أرجوه هو زيادة تعاون العرب مع الإنكليز في هذه الحرب، والخروج منها ونحن شركاء مع الإنكليز في الجهاد ضد بربرية النازية والفاشية، وفي الانتصار عليها.

الحاج طاهر بك قرمان

سقاء نفس، ووداعة طبع، وحدة ذهن سمت به إلى مكانته المرموقة في البلاد. اقتصادي عقله المدبر يدير مشاريع اقتصادية كبرى، ويساهم في المقاولات فيتفوق في ذلك على الأجانب، ويثبت كفاية العربي في الجلي من الأعمال العمرانية، دائم الحركة، موفور النشاط، ينتقل من مكتب إلى آخر من مكاتب مشروعاته الكثيرة، ويشرف على كل كبيرة وصغيرة من مجاري أعماله، ويثبت شخصيته فيها، ويطلعها بفكره الوقاد، ثم ينقلب إلى خدمة البلد في هيئة البلدية، فتراه هنا أمة في فرد لا تفوته مصلحة أحد، ولا حاجات أصغر حارة في حيفا.

كبير القلب، عذب اللسان، صريح القول، فهو يعلن لك في بساطة أن انتصار الإنكليز هو انتصار لقضية العرب، وقضاء على ثورة النازية والفاشية التي خرجت على العالم بكلام مبهرج، ثم جاءت أعمالها فكشفت للناس عن حقيقة جرائمها وسوء المصير الذي كانت تبثه للعالم.

وفي رأيه أن انكسار الطليان في ليبيا عمل يقدره العرب والمسلمون لبريطانيا أجل تقدير، لأنه أنقذ مصر من مصير أسود كان يتربص بها، وأنقذ عرب ليبيا من الطغيان الذي فرض عليهم عند الأمم.

ولانتصار بريطانيا في ليبيا دلائل أخرى، فهو ثورة تجديد في تفكيرهم السياسي، لأن الحرب الحاضرة ستنتهي بإدخال ملاسبات جديدة على نظم الإعلام، ستحتاج إلى تجديد في طرائق التفكير السياسي، ومعالجة الشؤون العامة. وقد يكون الاهتمام بالتدريب الاقتصادي، والمرانة على الحياة العملية أهم ما يجب أن يتطلع إليه العرب في مستقبلهم، إن هم أرادوا أن يحتفظوا بكيانهم، ويضمنوا سيادتهم.

عبد الرؤوف بك البيطار

انتصار الإنكليز على المحور ليس انتصار دولة على دولة أخرى، أو أكثر من دولة، وإنما هو انتصار فكرة على فكرة. هو انتصار لفكرة الحرية على الطغيان، والنظام على الفوضى، والمدنية على البربرية. بدأت هذه الحرب على أنها اضطراع بين دول محاربة من مثلها، ولكن دول المحور لم تلبث أن خرجت على كل عرف، وعلى كل قانون أخلاقي، فاعتدت على أمم مسالمة، غير محاربة، وقالت المدنيين من نساء وأطفال قتالها الجند في الميادين، وهدمت بيوت الله، ودور الرحمة والتعليم، تهديها للقلاع والحصون، وسلبت حريات الأمم استلابها لموادها الغذائية، وأمواها الخاصة، مما لا يصدر

عن أمم تقدر للمدينة نظمها، وتكاليها على الناس. وانتصار الإنكليز على الطلاينة في ليبيا أثار أعمق شعور بالغبطة في نفوس العرب والمسلمين، لأنه أنقذ مصر من مصير أسود كان يتهددها، وأنقذ إخواننا عرب طرابلس من حكم ظالم مرهق، فرض عليهم بقوة السلاح منذ نحو ثلاثين عاماً فشنت شملهم، وأفنى أكثريتهم، وسلبهم كل معنى الحياة عند الأمم. ولانتصار بريطانيا في ليبيا دلائل أخرى يجب أن لا تفوت الملاحظة، ذلك أن المحور كان لا يفتأ يذيع الدعايات عن تفوقه في الفنون العسكرية الحاسمة على عدو يزيدهم في العدد والمعدات ومناعة المواقع، فكان الانتصار دليلاً قاطعاً على كذب تلك الدعاوي، وبطلانها، كما أثبت سيادة بريطانيا المطلقة في البحر وتفوقها في الجو. ويسرنى أن أقول بأن هذه الانتصارات قد أزالنا من أذهان الجماهير كل شك كان لا يزال عالقاً فيها، وطمأنهم على مصير الحرب، وبالتالي على مصيرهم هم، والعرب يقفون مع حليفتهم الكبرى وقوف الأصدقاء، ويرجون تحقيق جميع آمالهم الوطنية بالتعاون معها، ودوام حسن الصلات بينهم وبينها.

رشدي بك الشوا

هو أكبر أنجال المرحوم الحاج سعيد الشوا الذي يعد بحق من أقدر الذين أنجبتهم فلسطين في الدهاء السياسي. بدأ رشدي بك حياته السياسية وهو بعد طالب في استانبول حين التحق بجمعية «الفتاة العربية» التي أسسها الشبان العرب يومئذ. وكان رشدي بك في الحرب الماضية ساعد أبيه الأيمن في كل ما كان يضطلع به المرحوم الحاج سعيد من جلي المهام والشؤون، ثم التحق رشدي بك بجلالة الملك فيصل، وأصبح أثيراً عنده بفضل مكانة أبيه، وإخلاصه هو لجلالة الفقيه العظيم.

قابلت رشدي بك في منزله في غزة، ودارت بنا الأحاديث كل مدار، وانتهينا إلى حديث الحرب، وهو الآن شغل الجميع. فلاحظت في الصديق الكريم نقمة شديدة على البربرية، التي تصطنع في قتال المدنيين، وفي التعدي على الأمم الآمنة، واستلاب حرياتهم، وكان من رأيه أن الحرب الحاضرة ستحدث انقلاباً خطيراً في تفكير الشعوب، وسيخرج العالم منها بنظم جديدة تزيد في تقوية الديمقراطية، وستقضي قضاءً أخيراً على سلطان الديكتاتوريات. وتكلم الصديق عن انكسارات الطلاينة بلهجة الرضا والاعتباط، وقال: لقد أراد الله أن يستهل إذلال تلك الدولة الطاغية على أيدي أمة صغيرة بأسلة كاليونان مبالغة في إذلالها وفي الحط من مهابتها، والعرب والمسلمون في جميع أنحاء الأرض يسرهم أن يسموا بتوالي انتصارات الديمقراطية في ليبيا، وإزاحة حكم الفاشية المجرمة عن ذلك القطر العربي، وتحرير إخواننا هناك من الظلم الذي طالت مدته، واشتدت وطأته.

السيد يعقوب فراخ

سألته عن انتصار بريطانيا في الصحراء الغربية، فأجمع

فكره وقال: إذا جاز لنا الزعم بأن هذه الحرب كانت امتحاناً لأخلاق الأمم استطعنا أن نقدر أن الانجليز فازوا بها بأسمى درجات التفوق. فهم دخلوا الحرب في سبيل غيرهم، ودفاعاً عن حقوق أمم بعيدة عنهم، ولما انهارت بعض الدول المتحالفة أمام الضغط النازي جبن البعض الآخر، فانهار تخاذلاً وتفككاً أكثر منه ضعفاً أمام القوة المعادية. أما الإنكليز فكانوا يزدادون قوة نفس، وصلابة عزم، وإرادة نصر، بازدياد الأخطار، ومثل هذه الصفات تتحلى بها الأمم التي لا يتطرق إليها ضعف، ولا تعرف الهزيمة.

ولقد تهاون النازيون، والفاشيون بكل القوانين الأخلاقية المتعارف عليها بين الناس، فتعدوا على الأمنين، وقتلوا النساء والأطفال، واعتصم الإنكليز وبالغوا في الاعتصام حتى لتصرح حكومة لندن باستعدادها لتسهيل هجرة النساء والأطفال الإيطاليين في شرق إفريقيا وإرجاعهم إلى إيطاليا إنقاذاً لهم من الأخطار التي تتهددهم هناك. وهذه الصفات الأخلاقية السامية التي تبدي بها الإنكليز في الحرب الحاضرة هي التي جمعت حولهم القلوب، وجعلت دولة كبرى كأمريكا أن توقف على مساعدتهم كل ما تملك من مصادر، وغنى وقوة إنتاج صناعي.

وانتصار الإنكليز يسر العرب لأنهم حلفاء لهم، ولأن العرب يقدرون الأخلاق السامية التي حرص عليها البريطانيون في قتالهم، فضلاً عما لهذا الانتصار من ضمان لمصالح الأمم العربية، فهو قد أنقذ مصر من خطر الاستعباد للحكم الفاشي، وأنقذ عرب ليبيا من الطغيان الذي فرض عليهم سنين عديدة.

السيد حسني خليفة

سألته ما سألت غيره من السادة الكرام فانشرح صدره واطمأن ثم قال:
المبادئ الأخلاقية المثالية التي اشتهرت عن العرب في بداوتهم الأولى، وقبل أن تتطرق إليهم مفاصد الاختلاط بالأعجم، هي الجدل على المكاره، والإقدام والشهامة في القتال، والاعتصام عن نيل الضعفاء كالنساء والأطفال بشراً، والتحذر من مس بيوت العباد، والأمنين بأذى، وكل هذه الصفات تبنت في البريطانيون في هذه الحرب بما لم تتبند في أية أمة محاربة أخرى، ولا يسع العربي الذي يقدر أخلاقه القومية المثالية إلا الإعجاب بالصفات العالية التي تحلى بها البريطانيون في هذه الحرب.

وأنت تعلم أن قواد الإسلام الأولين حين خرجوا من الجزيرة بحفنان من المؤمنين الصادقين ليزلزلوا الأرض تحت أقدام الطغاة، ويعيدوا إلى الأرض أمنها وسلامتها، كانت أولى وصايا أولئك القواد العظام إلى جندهم المحافظة على الضعفاء كالنساء والأطفال والعجزة، واحترام المساجد والأديرة، ومن عجب أن يوجد في أوروبا الآن، وبعد مرور ١٤ قرناً على الدعوة الإسلامية وعلى بدء حروبها، دول لا تتعظ بما تعظ به العرب منذ تلك الأجيال الطويلة.

وانتصار الإنكليز كان له أحسن وقع في قلوب العرب هو قد دفع عن مصر خطراً كان يهددها، وأنقذ عرب طرابلس من حكم لم يرضوه، وأرجو أن يؤول ذلك إلي زيادة روابط الصداقة بين العرب وبين الإنكليز، وإلى حل جميع مشاكلهم بروح التفاهم، وتبادل الثقة، وحسبك من تبادل المصالح بين العرب والبريطان أن انتصارات إنكلترا الأخيرة كان لها أثر مباشر على أسواقنا وعلى حالتنا الاقتصادية، وحين تبلغ الصلات بين أمتين هذا الحد من تبادل المصالح يتحتم على الفريقين أن يسعيا دائماً إلى التقارب، والتفاهم، وتوثيق روابط الصداقة بينهما.

ماجد باشا العدوان

هو ماجد باشا ابن سلطان باشا العدوان، شيخ مشايخ البلقاء عموماً وقبيلة العدوان خصوصاً ومنازلهم بالغور، غور نمرين، إلى حد البحر الميت في الشتاء. ولهم في الغور مزارع، ولهم «بالشرأة بحسبان» مزارع ومنازل يقطنونها بالصيف وهم لهم شهرة قديمة في هذه البلاد، وقد كان الشيخ دياب الجد الأكبر لماجد باشا، صديقاً مقرباً لإبراهيم باشا المصري، يوم جاء إلى هذه البلاد. وهؤلاء مشايخ محبوا النظام، يتقيدون بالقوانين، ويراعون قواعد الحكومة وديساتيرها، ولا يحبون الفوضى، ويساعدون على حفظ الأمن. وماجد باشا مقدم، وهو من مشاهير الفرسان وعضو في المجلس التشريعي [الأردني]، وقد أنعم عليه سمو الأمير [عبد الله] المعظم بمناسبة حفلات الزفاف الأخير بالسام الذهبي الرفيع. حدثنا ماجد باشا قال:

حالفنا الإنكليز في الحرب الماضية لتحقيق أهدافنا الوطنية، وقد ثلنا بفضل تعاوننا معهم بعض ما كنا نطمح فيه، وبقي بعض آخر، وقد حالفناهم في هذه الحرب مرة أخرى لتحقيق ما يزال ينقصنا من مظاهر استقلالنا، ووحدتنا، وكل انتصار يناله الإنكليز يدفع بنا خطوة إلى الأمام، ويقرب يوم تحقيق ما نريد تحقيقه من أمانينا الوطنية.

وسرورنا لانتصار الإنكليز على الطغيان له أسباب أخرى تضاف إلى ما ذكرنا. فنحن نسر لقهرهم أمة عرفت بتاريخها الأسود مع العرب والمسلمين، فهي أدلت العرب في ليبيا، (طرابلس، وبرقة) وأدلت المسلمين في الحبشة وألبانيا، وقهر الطليان، وإخراجهم من تلك البلاد معناه تحرير العرب والمسلمين من نير دولة طاغية، ثقلت وطأتها على إخوان ترتبط معهم بصلات كثيرة، ويهمننا شأنهم، كما يههم شأننا. والعربي مفلور على حب الحرية، فإذا هبّ العرب الآن ليستشركوا مع باقي الأمم التي تدافع عن مبادئ الحرية ضد الظلم، فإنما هم يخوضون المعركة في سبيل هدف سام، يقدسونه، ويدافعون عنه حتى النهاية.

وليس الظلم مما يرضى العربي السكوت عليه، إذا كان في استطاعته أن يدفعه عنه وعن غيره بأية وسيلة كانت. فإذا نحن اعتبرنا أن بريطانيا وحلفاءها يبذلون اليوم

أعلى التضحيات لصيانة قواعد الحرية لأنفسهم، ولشعوب العالم أجمع، وإذا نحن اعتبرنا هذه الحرب المضطربة الآن هي احتراب بين الطغيان وبين حماة الحرية، أمكننا أن ندرك لماذا يقف العرب كلهم في جانب بريطانيا صدقتهم، وحليفتهم. والغاية التي تحارب بريطانيا من أجلها هي التي تضمن للعرب تحقيق آمالهم القومية، وهم إنما يقفون في جانب حليفهم الكبرى لأنهم على ثقة أن في انتصارها انتصاراً لقضيتهم، ولمبادئهم الحرة في الحياة.

حمد باشا ابن جازي

هو شيخ مشائخ قبائل الحويطات، وهي من أوفر القبائل العربية عدداً بعد قبائل شمر، وتمتاز الحويطات عن بقية القبائل البدوية بأنها منبثة في الحجاز، وشرق الأردن، وفلسطين، ومصر. ومن يعيش منها في البلاد المصرية يقيمون على حدود ليبيا، والفوارق، والفواصل الإدارية، والسياسية التي تفرق بين مختلف الأقطار والأمصار التي تقطنها قبائل الحويطات المتعددة لم تستطع أن تفرق بين أفضاخ هذه القبائل، أو أن تسليهم أرحامهم، ووشائجهم، وما برحت كافة شيوخها، وأفرادها، المقيمون منهم في مصر، أو الحجاز، أو فلسطين يعترفون بزعامة حمد بن جازي العليا عليهم، وعلى قبائلهم، ويرجعون إليه في كافة شؤونهم التي يقضي العرف البدوي والعادة بأن معالجتها، والقضاء فيها، هما من اختصاص شيخ المشائخ، حمد باشا ابن جازي.

وهذا التواصل والترامح بين مختلف قبائل الحويطات، وإجماعها على الاعتراف بزعامة كبير مشائخها، برغم ترامي الأقطار، وتراخي الديار بين بعضها البعض، يصح أن يعتبر على أنه مثال عملي مصغر للوحدة العربية، وخلودها، وهي النواة التي لم تستطع الأحداث تجزئتها، ولم يقو شط المزار على تفرقتها.

سألنا الزعيم الكبير ليحدثنا عن شعوره بانتصار الإنكليز عن الطلاينة، وعمّا يرجو ويؤمل كزعيم عربي كبير من الحكومة البريطانية بعد ربحها الحرب، فأجابنا بما يلي: كانت قبائلي التي يتزعمها أبناء عمومتي المعروفين في مصر بآل أبي جازية باشا منتشرة في كافة مديريات القطر المصري، ومن جملتها المديريات المتاخمة لليبيا. ولما كانت حياة البداوة التي تقضي بالحلّ والترحال كثيراً ما كانت تضطر الكثيرين من عشائر الحويطات المصرية إلى أن يخيموا في ليبيا قبل الحرب الماضية، فإن استيلاء الطلاينة على تلك البلاد، وتحلّي الدولة العثمانية عنها، جعلنا أكثر القبائل العربية شعوراً بوطأة الاستعمار الإيطالي في البلاد العربية منذ نجم قرنه.

وبالنظر لأنّ أبناء عمومتنا في القطر المصري كانوا شهود عيان لما كان يوقعه الطلاينة، ولما أوقعوه فيما بعد بأبناء قومنا وديننا في طرابلس وبرقة، فإنّ تفاصيل هذه الفظائع والفجائع كانت وظلت تصلنا أخبارها باستمرار، سواء أكان ذلك عن طريق تنقل كل عشيرة منّا في محيطها، أم عن

طريق تزاور هذه العشائر، كما جرت بذلك عاداتنا وتقاليدنا. وغني عن القول أنّ منكانت هذه حاله يكون أشد تأثراً ممن لم يصله إلا القليل ممّا أوقعه الإيطاليون في طرابلس وبرقة من جنایات وجرائم. وأنا أقول لك بأن شعوري، وشعور كافة زعماء الحويطات، إن هنا أو في القصر المصري، أو في الحجاز، وشعور كافة أفرادها، بانتصار الإنكليز، وخذلان الطليان، كان شعور الهضيم المتشفي الذي هيأت له العناية الالهية أسباب الانتقام فتم له ذلك على ما يرام.

ولقد كنت أتمنى أن لو كنّا على تخوم ليبيا فشدنا أزر الجيش البريطاني تحت راياتنا، ومع وحدتنا فلمسنا لذة الانتصار مع حلفائنا فعلاً، ولكن ربما وقع بعد الآن ما نرفع به الرؤوس، وما نعزز به مع حليفنا الكبرى.

ظاهر باشا الدياب

هو ظاهر باشا الدياب، من كبار مشائخ بني صخر، ورجالها المعدودين، وبنو صخر هم أولاد عمومته عربان الباسل في مصر الذين كان يتزعمهم المرحوم حمد باشا الباسل، عضو الوفد المصري الأول، ومن أشهر الزعماء المصريين. واليواسل تمتد منازلهم إلى حدود ليبيا، وقد جاهدوا مع إخوانهم في محاربة العدوان الإيطالي، ويسرهم بسرور إخوانهم الطرابلسيين الخلاص من ذلك الحكم الظالم.

حدثني ظاهر باشا فقال:

أسباب تواصل العرب، وارتباطهم بوشائج وأرحام قوية، لا يضعفها تراخي الديار، أو اختلاف الأقطار، والعربي حنينٌ أبداً إلى أخيه العربي، مهما تباعدت بينهما الأمصار. ويسرني كعربي أن يتحرر إخواني في ليبيا من حكم الطغيان الذي فرض عليهم منذ نحو ثلاثين عاماً فسلبهم حريتهم، وحرّمهم أبسط حقوق الحياة، وطاردهم حتى أفنى أكثريتهم، وقضى على من تبقى منهم أن يعيش حياة يفضلها الموت.

وكل انتصار يناله الإنكليز في ليبيا هو تحرير للعرب هناك مما يقاسونه ويعانونه من مزاحمة المهاجرين الطليان لهم، ومطاردتهم إياهم في أسباب العيش. وإذا رجوت الله أن يتم للإنكليز الانتصار كله في تلك البلاد فإنما أنا أرجو الله بالتالي أن يتم على إخواني الطرابلسيين نعمة التحرر الأخير من الحكم اللعين الذي أرهقوا تحته طيلة تلك الأعوام الماضية. ويزيد في سروري الآن أنّ الإنكليز نالوا انتصاراتهم العظيمة والدول العربية متعاقدة معهم بمعاهدات التحالف والصداقة، متعاونة وإياهم في السراء والضراء مما سهّل على البريطان تلك الانتصارات الباهرة التي أرجوا أن تقرب يوم النصر الأخير إن شاء الله.

الاستاذ وديع البستاني

هو من عيون العائلة البستانية التي أنجبت للشرق العربي نخبة مختارة من أئمة أدبائه ومفكره، وما زالت تنجب، حتى ما يكاد ينضب لها معين، من هذه العبقريات المتلاحقة منذ نحو قرن ونصف. بدأ حياته أديبا يجمع بين روحانية الشرق،

الإنكليز عندنا أقاموا العدل، وأحيوا الزرع، والخلاف بيننا وبينهم اشبه بخلاف عائلي، نحلّه فيما بيننا، ولو جاءنا الطليان - لا سمح الله- لجأؤنا بهجرة من الجراد الطلياني.. وطرردونا من أراضينا كما فعلوا في الجبل الأخضر، وأفنونا كما أفنوا إخواننا في ليبيا. ونحن نرجو الله أن ينتصر الإنكليز، وأن يحسنوا تقدير صداقة العرب، فيمنحهم مطالبهم الوطنية، ويجعلوهم أصدقاء دائمين لهم.

النص الثالث

موقف المرأة العربية من هذه الحرب للسيدة متيل مغنم

لعل من سوء طالع هذا الجيل أن يشهد حربين كبيرين في فترة من الزمن لم تتجاوز عشرين عاماً، وأن يتبلى بنار الفجيرة على الدماء الزكية، تهدر على مسرح الجشع والأنانية، وأن يتفطر أسي على النفوس البريئة، تزهق ضحية الطمع والهمجية فكأن القرن العشرين، قرن المدنية والحضارة، قد قدر له أن يشهد من المجازر ما لم تشهده العصور المظلمة، قبل أن يصل الإنسان إلى ما وصل إليه الآن من العلم والعرفان، وكأنه قد أريد بهذه الحرب إرواء غريزة نفر من الناس، جردوا من العواطف الإنسانية وخُيّل إليهم أنهم، بما توصلوا إليه من سلطان، في غفلة من الزمان، يستطيعون أن يبسطوا نفوذهم على العالم، وأن يحملوا الأمم على الإذعان لقوطهم، والأخذ برأيهم، منتهكين في سبيل مطامعهم، كل ما حرمته الشرائع الأرضية، وقدرته الكتب السماوية.

لست في معرض البحث في هذه الحرب وعواملها، أو البواعث التي أدت إليها، فذلك أمور سيخلفها التاريخ، يوم ينطق بالحكم على مشعلها والقائمين بها، ولكني أود أن احاول بيان ما ينبغي علينا نحن معشر النساء العربيات، أن نقوم به إزاء هذه الحرب، وما يجب علينا أن نفعله لتخفيف وطأتها بعد أن امتد سعيها وأصبحت على قاب قوسين منا أو ادنى. وأرى لزاماً عليّ، بادئ ذي بدء، أن أسجل حقيقة قد لا يختلف فيها اثنان، وهي أن المرأة، شرقية كانت أم غربية، تكره الحرب وتستنكرها. فهي بما جبلت عليه من نكران الذات، تمقت الاستبداد والأثرة. وبما فطرت عليه من التضحية تنفر من الظلم وتشعر مع الضعيف، وترى في الحرب مهما كان الهدف الذي ترمى إليه، وسيلة لجلب الدمار وهدر الدماء، فلا غرو إن إذا هي نظرت إليها كخصمها اللدود وعدوها الأكبر. ومع هذا يخطئ من يظن أن المرأة، وبخاصة المرأة العربية، تتقاعد عن القيام بنصيبها، فللعربيات صفحات خالدة من البطولة والأقدام، واعترفت بما كان لهنّ من أياد بيضاء في نصرته العرب يوم كانت المرأة العربية تسير مع الرجل، جنباً إلى جنب، تشاركه المعارك، وتقاسمه الأخطار

وسمو التفكير الأوروبي، ومال منذ نشأته إلى الأدب الهندي فترجم «المهراتة»، وقد تكون ترجمته لرباعيات الخيام سببها نزعته الروحانية الشرقية، ولما ترجم عن الأدب الأوروبي بدأ بمؤلفات اللورد أفيري وهي على ما فيها من آثار سمو التفكير الغربي قريبة من روحانيات الشرق. وعلى الرغم من التحول الذي طرأ على حياة البستاني الأدبية، واحترافه المحاماة، ومعاناته السياسة معاناة صدق إيمان، وصلاة مبدأ، فلقد ظلت نزعته الأدبية تسمو به على جميع مشاغله بين الحين والحين فيعتزل للاطلاع، أو للنظم، أو للتأليف.

فاجأته في داره وهو يقرأ في «الفيديانتا» من فلسفات الهند، يروّج بها على نفسه بعض كأبتها، ويعلو فيها عن عالم لا تسمع فيه سوى أبناء تعدى طغاة النازية والفاشية على الأمنين، فسألته رأيه في انتصار البريطان في ليبيا، فقال: لقد ملك البريطان زمام الموقف، وبدأت قوة مواردهم تتفوق، وتضمن لهم الغلبة، وانتصارهم في ليبيا يرجى منه إنقاذ إخواننا هناك من الحكم الطلياني، وإنالتهم حقوقهم المسلوبة، والتمهيد لضمّهم إلى مجموعة الوحدة العربية التي هي هدف العرب الذين يرون أن بريطانيا تحسن إلى نفسها وإليهم إن هي ساعدتهم على تحقيقها بالتعاون المتبادل بين العرب وبين البريطان، لا سيما وأن بريطانيا ستخرج من هذه الحرب وهي أكثر صلة وأوفر مصالح مع الأمم العربية ممّا كانت عليه في أي زمن آخر مضى.

الشيخ فريح أبو مدين

هو الشيخ فريح أبو مدين، شيخ مشائخ بئر السبع عموماً، وعربان الحناجرة خصوصاً. وهو أول من لَبَّى دعوة المغفور له الملك حسين في هذه البلاد أثناء الحرب العالمية الماضية، وأبلى مع المرحوم المارشال اللنبي أحسن بلاء، وأدى لقضية الحلفاء في ذلك الحين أجلّ الخدمات. وقد اختير عضواً في المجلس الاستشاري ليمثل عربان السبع، ويحافظ على مصالحهم، وله أمام جميع لجان التحقيق التي جاءت إلى هذه البلاد شهادات تنطق بمكانته وصدقه وطنيته.

قابلته في مضاربه القائمة في شيرين، وادي غزة، بعد أن اجتزت بالسيارة ودياناً وخذناق كان لها مقامها في ميادين القتال التي امتدت من سيناء إلى حدود غزة في الحرب الماضية، وكان جالساً إلى رهط من شيوخ عربان السبع، فسألته في محضرهم عن رأيه في انتصارات الإنكليز الأخيرة فأجابني بصراحة البداوة المعروفة بين تهليل الحضور وموافقتهم:

أين العربي الذي لا تسره أنباء انكسار تلك الدولة الطاغية التي تفنّنت في الكيد للعرب والمسلمين، وفي سلبهم حرياتهم، وإنزال أشع ضروب التقتيل والتخريب بهم، وفي ديارهم. والله يا أفندي، استمر قائلاً، ما في أحسن من الإنكليز، ولا أرحم منهم، ولا في بيننا وبين الإنكليز إلا كل خير لولاها الزبوننة. (ضحك شديد) وعلى إثرها طلبت القهوة السادة.

والأهوال، وتؤدي رسالتها في الفتوحات العربية، وفي نشر ثقافة العرب في جزء كبير من هذا العالم، حين كان الغرب يهيم في وادي الجهل والظلام. وما موقعة اليرموك، حين قاتلت نساء قريش بالسيف حتى سابقن الرجال، بخافية على أحد.

بيد أن الحرب اليوم هي غيرها بالأمس، ذلك أنها لم تعد عراكاً بين جيش وجيش، ونضالاً بين رجال ورجال، بل أصبحت تتناول السكان الأمنيين قبل المقاتلين، وتفتك بالنساء والأطفال قبل أن تنال قوة الجنود والرجال، وأضحى فيها البعيد قريبا، والمحرم مستباحاً. فما هي الحرب الجوية القائمة اليوم في إنكلترا قد فتكت بالنساء والأطفال وممن ليست لهم علاقة بالحرب بحال من الأحوال، وتجاوزت ضحاياها من السكان الأمنيين عشرة أضعاف الجنود المحاربين. وإنه ليبدو أن الحرب الماضية، رغم ما سببته من بليات، وما جرته من ويلات، لم يكن لها الأثر الرادع للأمم على تجنب الحروب، بل كانت حافزاً لها على الاسترسال في حرب أوحم عاقبة وأشد فتكاً، حتى أن الأمم التي أعلنت الحياد التام، وأحجمت مخلصاً عن إتيان أي عمل من شأنه أن يظهرها بجانب هذا الفريق أو ذلك، لم تحل حيطتها دون وقوعها فريسة للغزو والاحتلال، وتأثرت اقتصادياتها حتى أصبحت على شفا الدمار والاضمحلال، والمرأة، شأنها في سائر الحروب، هي التي تدفع الثمن غالياً.

والواقع أننا في هذا الجزء من العالم العربي لا يمكننا أن نعد أنفسنا بعيدين عن الحرب، غير متأثرين بها. فمع أن فلسطين ليست ميداناً من ميادين الحرب، فإن ذلك لم يمنعها من أن تكون هدفاً للغارات الجوية التي أودت بعدد كبير من الضحايا وهدمت البيوت الآهلة، والمعابد الآمنة، فضلاً عن تأثر اقتصادياتنا، وازدياد العمال العاطلين، وتكاثر عدد ذوي الفاقة والمعوزين بيننا، فازداد بذلك الواجب الملحق على عاتق المرأة، وثقل العبء الذي تضطلع به في سبيل تأدية رسالتها الإنسانية. إنني لست من القائلات بأن تعطل المرأة متن الطائرات، أو أن تتولى إدارة المدفع وامتشاق الحسام، بل أشعر، كما تشعر الكثيرات، أن الواجب يقضي علينا، نحن معاشر النساء، أن نضع نصب أعيننا في هذه الغمرة، تخفيف الضائقة من الناحيتين الإنسانية والاقتصادية على الأقل، وأن نكون على استعداد لمواجهة الطوارئ، ومواساة المصابين، وإعانة المنكوبين إذا ما دعا الواجب واستوجب الأمر ففي وسع المرأة أن تساهم في هذه الأعمال بنصيب كبير.

إن تاريخ النهضة النسائية في فلسطين، وفي سائر البلاد العربية، مليء بالأعمال الجليلة التي قامت بها المرأة العربية في العصر الحديث في سبيل بلادها ووطنها، ويشهد بما كان لها من فضل في معاضدة كل عمل كانت البلاد في حاجة إليه في أبنائها محنتها. ومما يدعو إلى الغبطة أن تكون المرأة العربية في فلسطين وغير فلسطين، قد فطنت إلى هذه الناحية، فأخذت السيدات العربيات يتسابقن على التدريب في

الإسعافات الأولية والتمرريض، ويستفدن من المحاضرات القيمة التي تطوع الأطباء بإلقائها منذ نشوب الحرب، فما أحرهن وقد عمّ المصائب أن يتخذن للزمن عدته، ويعملن على تأليف لجان تتولى تدريب النساء على هذه الأعمال الإنسانية، حتى إذا ما دعت الضرورة، أدبن واجبهن على خير ما تتوق إليه أنفسهن، وقمن بعمل إنساني يذكر لهن بالشكر، ويرتاج له الضمير. ولا يغربن عن البال، أن تدريب المرأة على هذه الأعمال، يكون عوناً لها على العناية بأولادها وذوي وقرباها، حتى أبنائها السلم.

أما إسعاف المعوزين وإعانة المنكوبين، في وقت قلت فيه الأعمال، وساءت الحال، فلا أراني بحاجة إلى الإسهاب فيه - ذلك أن المرأة العربية قد ضربت بسهم وافر في هذا المضمار، وهي لا تحتاج إلى من يبنهها إلى واجب هو أحب الواجبات إلى قلبها المملوء بالعاطفة والحنان. ولكن العبء أثقل مما يتحمله العمل الفردي، والميدان أوسع مما يستطيع الفرد تداركه، فبين عشية وضحاها، أصبحت عشرات من العائلات العربية في حيفا وغيرها، فريسة لحم الطائرات، وأمست بلا عائل ولا معين. فمن يا ترى الذي يهتم بهذه العائلات، ويعمل على سد حاجتها في وقت ضيقها، وقد قتل رجالها ويمت أطفالها، وأهينت بعد عن، وذلت بعد كرامة. ومن أولى بنا نحن النساء، من مد يد المعونة لهؤلاء المنكوبين ولغيرهم ممن سيوقعهم حظهم العاثر في مثل ما وقع فيه غيرهم؟ إن لنا جمعيات كثيرة في طول البلاد وعرضها، فحيذا لو أن هذه الجمعيات تضع مشروعا تتبارى فيه للعمل على تخفيف وطأة المصائب من هؤلاء المعوزين وتتعاون جميعاً في سبيل تأدية هذا الواجب الإنساني. أما الناحية الاقتصادية، فأحسب أنها من الأهمية بمكان كبير. فالاقتصاد هو قوام الأمة، وركن قويم من أركان كيانها. وقد تزداد الحاجة إليه والأخذ به في مثل هذه الأوقات، حين نقصت الواردات وقلت الأشغال. وهو يتوقف إلى درجة كبرى على ما تبديه المرأة من حكمة في إدارة بيتها، وسد حاجاتها. فالاقتصاد في الإنفاق، وتجنب الكماليات، يساعد على إبقاء الثروة في البلاد، وتخفيف ضائقة النقص في الأعمال وغلاء الأسعار.

وقبل أن أختم كلمتي هذه أود أن أشير إلي واجب، نرى نحن النساء أنه من أولى الواجبات المترتبة علينا، ألا وهو واجب الترفيه عن أبنائنا الذين شأوا أن ينتظموا في سلك الجندية. فهؤلاء الأبناء البررة قد خطوا خطوة جريئة في سبيل إيصالنا إلى الهدف الذي نسعى إليه، وسيمكنوننا بعملهم المشرف هذا، من الوقوف موقفاً يليق بنا يوم يحين الحساب، ويقرب تحقيق الأمل المنشود. فجدير بنا أن نعمل الترفيه عنهم، وأن نسعى للاعتناء بذويهم، والمجال في ذلك واسع، لا يحتاج إلى بيان.

وبعد، إن الأمم كالأفراد، إن لم تعتن بمستقبلها، وتعمل على حفظ كيانها، ذهبت فريسة لكل طامع أو غاز، وإنه لمن واجب السيدات العربيات أن يؤدبن رسالتهن في هذه الغمرة،

ويعملن متضامناً متآزرات إلى أن ينبثق نور السلام وتتغلب المبادئ الإنسانية على عوامل الهمجية والوحشية. والسلام.

النص الرابع

عرض فرق المتطوعين العرب في نابلس

احتفل يوم الثلاثاء في ٦ أيار الجاري في نابلس بعرض فرق المتطوعين العرب عرضاً كان غاية في جمال المنظر وأبهة الشكل، فارتاحت إلى هذا العرض النفوس وانشرحت الصدور. وكيفية ذلك أنه في الساعة العاشرة من صباح اليوم المذكور أخذت مدينة نابلس تعجّ بالجماهير والناس من مختلف الجهات لمشاهدة عرض هذه الفرق.

وقد بدأ العرض من شارع الشويترية بالقرب من دائرة البلدية، ومن هناك سارت الفرق في وسط الجماهير الحاشدة إلى قرب البنك العثماني حيث كان في استقبالها مستر نيوتن مساعد حاكم لواء السامرة، وكبار ضباط الجيش، وسعادة رئيس بلدية نابلس سليمان بك طوقان، ورئيس بلدية طولكرم هاشم أفندي الجيوسي، ورئيس بلدية جنين تحسين أفندي عبد الهادي، والقائمقامان الأستاذ وديع أفندي شفتري والأستاذ سعيد الدجاني. وبعد أداء التحية العسكرية سار المتطوعون بتقديمهم ثلة من البوليس الفلسطيني الفرسان والموسيقى العسكرية التي كانت تعزف ألحاناً شجيّة، حتى وصلوا إلى قرب دير اللاتين، ومنه إلى شارع فيصل الأول، حتى سرايا الحاكم، ثم اتجهوا من هناك إلى دائرة البوليس حيث كان في استقبالهم مدير بوليس اللواء، ثم توجهوا من هناك إلى الساحة التي أمام جامع المرحوم الحاج نمر النابلسي. وهناك وقفوا صفوفًا عسكرية منتظمة وأدوا التحية، وكان في استقبالهم مساعد حاكم اللواء، وكبار ضباط الجيش، وسليمان بك طوقان، وهاشم أفندي الجيوسي، وتحسين أفندي عبد الهادي، والقائمقام وديع أفندي شفتري وزميله سعيد أفندي الدجاني، وعدد كبير من وجهاء مدينة نابلس وأعيانها، يتقدمهم فضيلة القاضي الشرعي الشيخ محمد الدجني، وفضيلة المفتي الشيخ محمد أفندي تفاحة الحسيني، ومأمور أوقاف نابلس الحاج شافع أفندي عبد الهادي، والحاج عبد الرحيم أفندي النابلسي رئيس الغرفة التجارية، وأعضاء المجلس البلدي: الحاج طاهر أفندي المصري، وأحمد أفندي الشكعة، والحاج سعيد أفندي كمال، وتوفيق أفندي عرفات، والوجهاء راضي بك النابلسي، وفريد أفندي العنبتاوي، وعبد الرحيم أفندي التميمي، وعبد الفتاح أغا طوقان، والسيد حكمت المصري، وغيرهم كثير.

وهنا تقدم سليمان بك طوقان فارتقى منصة أعدت خصيصاً لهذا الاستقبال، وألقى كلمة رائعة قوطعت بالتصفيق مراراً، ثم تلاه تحسين أفندي عبد الهادي رئيس بلدية جنين بخطاب آخر قوبل بالتصفيق الحاد قال فيه:

«إن عليكم واجباً كبيراً يرتفع رأسنا عالياً. ونذكر ما كانت عليه الجيوش العربية في سالف الزمن من الرجولة الوطنية. إنني على تمام الثقة واليقين بأنكم ستؤدون ذلك الواجب إخلاصاً لأنكم أشبال أولئك الغر الميامين الذين دوخوا العالم بفتوحاتهم».

وبعد أن تمنى لهم النجاح هتف للعرب ولبريطانيا فرد الجمهور هتافه. ثم تقدم هاشم أفندي الجيوسي، رئيس بلدية طولكرم، وألقى كلمة وجيزة قوبلت بالارتياح والتهاتف جاء فيها قوله: «لقد لبيتكم نداء الضمير وانخرطتم مختارين في الجندية الشريفة وها أنتم مستعدون لخوض غمار الوعي ومقاومة كل معتد أثيم».

وقال: «إن نصيبنا من النصر سيكون بقدر ما نقدم من تضحية في سبيل مساعدة الحلفاء فهبوا يا طلائع الأمة العربية واستعدوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون».

وبعد انتهاء هذه الخطب وتأدية التحية العسكرية اتجهت الفرق بين مظاهر الحماسة البالغة والتصفيق الشديد وعزف الموسيقى إلى مقهى البلدية حيث تناولوا طعام الغداء بدعوة من البلدية وبعض وجهاء المدينة. وقبيل مغادرة الفرق للمدينة وقف السيد ربحي العنبتاوي وحياً المدينة ورئيس بلديتها بالنياحة عن زملائه المتطوعين ثم قال:

«إننا تطوعنا في الجيش البريطاني وكلنا ثقة بأنفسنا على أننا رجال عمل، وستظهر أعمالنا وشجاعتنا وبسالتنا في كل وقت، ولتعلم دول المحور على أن العرب والعروبة يضحون بكل غال وثمين ويضحون بدمائهم ودماء أبنائهم في سبيل النصر، ومثلنا على ذلك المغفور له الملك فيصل الأول رحمه الله».

خطاب سليمان بك طوقان

أيها الجنود البواسل..

باسم هذا البلد العربي أحبيكم تحية المواطن المفتخر بكم المعترز بروحك الطيبة، إذ أنتم هبتم تلبية لنداء الواجب وذوداً عن الحرية، بوجوه تطفح بالبشر، وقلوب عامرة بالإيمان، إنني إذ أراكم اليوم محتشدين أذكر بكل إعجاب وفخر احتشاد إخوانكم الكرام قبل خمس وعشرين سنة، الذين وقفوا مثل هذا الموقف النبيل تحت قيادة صاحب الجلالة الملك حسين المعظم وأنجاله الكرام، مع جيوش الامبراطورية البريطانية جنباً إلى جنب، أيام الحرب العظمى الماضية، فامتشقوا الحسام وكانوا في الطليعة، غايتهم الدفاع عن حريتهم والذود عن كرامتهم، وكان الفوز حليفهم. ولئن كانت بالأمس غايتهم سلمية، ولئن كان غرضهم نبيلاً، فغايتكم اليوم أسمى وغرضكم أنبل، لأنكم إن دافعتم اليوم وساهتمتم في النضال فإنما تدافعون عن حريتك، وتساهمون مع

جيوشالامبراطورية في الذود عن حرية الملايين من البشر،
لذلك كان الواجب الملقى على عاتقكم عظيماً.
إننا إذ نراكم في هذا اللباس الشريف المحبب إلى النفس
تتجدد فينا الهمم، وتتشد العزائم، وتتقوى الآمال بأن يكون
لهذه البلاد جيشٌ أنتم نواته، ومجداً مثالكم بناته وحماته،
فالأمة التي لا يرتدي أبناؤها هذا اللباس الشريف لا مكانة
لها بين الأمم، ولا حق لها في الحياة، فسيروا على بركات الله
لأداء الواجب، تكالكم عينيه وترعاكم عنايته. سيروا مرفوعي
الرؤوس مستمدين العون والتوفيق من الله عز وجل، والبطولة
من أمثال عمر وخالد وصلاح الدين. اعلموا أن قلوبنا معكم
وأسنتنا تلهج بالدعاء لكم، راجين أن نرى من أعمالكم
ونسمع من أخباركم ما يرفع الرأس عالياً.
رافقتكم العناية الإلهية أينما حلتم والنصر والظفر
حيثما سرتن، وأهتف بحياتكم جميعاً وأقول لتحيا الأمة
العربية ولتحيا بريطانيا العظمى.